

الممارسات

ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر

يتناول هذا الجزء العلاقات بين النظرية والمنهجية / الطرق . بدلاً من تقديم دليل عملي ، تركز هذه الفصول على شرح الصلات بين تصاميم البحث ، وتطوير طرق بحث محددة ، والنهج الفلسفية المختلفة للمعرفة (على سبيل المثال ، ماهية البيانات أو الأدلة) . في الفصل 22، يقدم ستيفارت فوتيرهاغام حجة في دعم الأساليب الكمية ، مشيراً إلى أهميتها في توفير أدلة قوية حول طبيعة العمليات المكانية – وهي أدلة أقوى بكثير، كما يزعم ، من تلك التي يمكن الحصول عليها باستخدام طرق أخرى . ويشرح كيف أن الأساليب الكمية لها جذورها في الفلسفات الوضعية ، ولكنه يوضح أن "الوضعية" و"القياس الكمي" ليسا مترادفين على الرغم من استخدام الكثيرين لهما بشكل متبادل . على سبيل المثال ، يجادل بأن هدف الباحثين الوضعيين هو الكشف عن حقيقة الواقع في شكل قوانين مطلقة ، بينما يدرك علماء الجغرافيا الكميون ندرة وجود مثل هذا المطلق . وبدلاً من ذلك ، يستخدم علماء الجغرافيا الأساليب الكمية لبناء أدلة كافية لاتخاذ قرارات حول الواقع . ويؤكد فوتيرهاغام على دور الأساليب الكمية كحلقة وصل بين علماء الجغرافيا البشرية والجغرافيا الطبيعية ، مما يوفر لهم لغة مشتركة للبحث والتعاون . ويختتم فوتيرهاغام فصله بالدفاع عن الأساليب الكمية ضد بعض الانتقادات الشائعة الموجهة إليها .

في الفصل التالي (الفصل 23) ، يقدم مايك جودتشايلد تاريخاً موجزاً لتطبيق نظم المعلومات الجغرافية في البحث الجغرافي . ثم يقدم وجهتي نظر . الأولى، الشائعة بين الباحثين العاملين في مجال نظم المعلومات الجغرافية ، هي أن هذه التقنية محايدة القيم ، وأن مستخدميها يعكسون مجموعة واسعة من الأساليب ، بدءاً من النهج الوضعية القوية في الجغرافيا الطبيعية وبعض مجالات الجغرافيا البشرية ، وصولاً إلى النهج الأكثر تركيزاً على الإنسان في مجالات مثل مشاركة الجمهور في نظم المعلومات الجغرافية والنظرية الاجتماعية النقدية . أما النظرة الثانية، التي تنبع من الانتقادات الحادة لنظم المعلومات الجغرافية التي ظهرت في أوائل التسعينيات ، فهي أن نظم المعلومات الجغرافية تحمل قيمة جوهرية .

ويستعرض جودتشايلد هذا التوتر بين هاتين النظرتين ، يناقش جهود التوفيق والتوافق بينهما . على غرار فوتيرينغهام (الفصل 22) ، الذي يعترف بالحدود الضيقة للمنهجية الوضعية في دراسة السلوك البشري ، ويؤكد على ضرورة تطوير أساليب كمية لمحاكاة السلوك البشري غير العقلاني ، يناقش جودتشايلد موضوعي عدم اليقين والمعايير العلمية كأمتلة على المشكلات المنهجية التي ما تزال تحيط باستخدام نظم المعلومات الجغرافية . وبدلاً من النظر إلى المعرفة كواقع موضوعي يمكن قياسه والتحقق منه من قبل مراقب محايد ، يتناول بول رودواي في فصله عن المناهج التي تركز على الإنسان (الفصل 24) كيفية تطوير علماء الجغرافيا الذين ينظرون إلى المعرفة على أنها ذاتية ومتغيرة ومتشكلة ، لمنهجيات استكشاف العلاقات الشخصية التي تربط الإنسان بالبيئة التي يعيش فيها . ويوضح هنا كيف طور علماء الجغرافيا الإنسانيون مثل... كما طورها كل من دوغلاس بوكوك وغراهام رولز، أو استقياها من مجالات معرفية أخرى ، هناك أساليب لدراسة معاني التجارب الفردية وكيف يفسر الناس تجاربهم مع المكان . هنا ، يركز الاهتمام على أساليب التواصل والتفاعل والمشاركة ، بما في ذلك الملاحظة المباشرة ، والمقابلات ، والتفسيرات التحليلية للنصوص .

في الفصل 25 ، يجادل مايك سامرز بأن الهدف من البحث ليس مجرد فهم العالم ، بل تغييره . وبذلك ، يسلط الضوء على الطبيعة الديناميكية والغموض في الحدود بين النظرية الاجتماعية والنشاط الاجتماعي ، ويستعرض بعض الفرص والقيود الكامنة في محاولة الربط بين البحث الأكاديمي والعالم الخارجي . بالنسبة لسامرز ، فإن إجراء البحث والكتابة للمجتمع الأكاديمي هو في حد ذاته عملية نشاط سياسي ، لأنه من خلال هذه العملية نتعرف على عمليات الاستبعاد والإقصاء . ومع ذلك ، فإن هذا المنهج يعاني من مشكلة كيفية تمثيل "المظلومين" أو الفئات الضعيفة (ينظر أيضاً الفصل 12). وتُعد مشكلة التمثيل مشكلة شائعة أيضاً في محاولات علماء الجغرافيا الراديكاليين لإحداث تغيير من خلال التواصل مع جهات خارج الأوساط الأكاديمية ، مثل المسؤولين الحكوميين والمحامين ومجموعات المجتمع المدني .

بينما يهتم علماء الجغرافيا النشطون الماركسيون بالعمل مع "الفئات الضعيفة" لمساعدتها بدلاً من قيادة نضالاتها ، يجادل سامرز بأن الحدود بين الأكاديميين والنشطاء قد تصبح غامضة . مشكلة العلاقة بين الباحث والمشاركين في البحث هي قضية مشتركة بين علماء الجغرافيا النسويات . في الفصل 26 ، تحدد كيم إنجلاند المنهجيات النسوية بأنها تلك التي تراعي علاقات القوة بين الباحث والمشاركين . بالنسبة لإنجلاند ، لا يهم ما إذا كان الباحث يستخدم منهجاً نوعياً أو كمياً . ما يميز البحث النسوي هو أن الباحثين يطورون علاقة بحثية قائمة على التعاطف والاحترام ، وأنهم يسعون لتقليل المسافة بين أنفسهم وبين من يعملون معهم . وهذا يعني السعي الواعي للتواصل مع المشاركين بدلاً من محاولة البقاء منفصلين . هنا ، تشرح إنجلاند كيف نظر النسويات إلى هذه العلاقة من حيث مفهومي "الموقع الاجتماعي" (كيف ينظر الناس إلى العالم من مواقعهم الخاصة ، وكيف ينظر إليهم الآخرون ويتفاعلون معهم) و"الانعكاسية" (عملية قيام الباحث بالنظر في دوره في عملية البحث وعلاقاته مع المشاركين) . في الفصل السابع والعشرين ، يتغير التركيز من مناقشة أساليب التعامل مع الناس إلى مناقشة الأساليب النصية . هنا ، يُوضح جون وايلي أهمية مفهوم ديريدا عن "التفكيك" بالإضافة إلى مفهوم فوكو لتحليل الخطاب ، يكونهما منهجين في البحث الجغرافي . ثم يتناول وايلي تأثير جيل دولوز الحديث ، وخاصة تركيزه على العاطفة والإبداع والتحول .

وبدلاً من النقد المفرط ، يُوضح وايلي كيف يفضل دولوز أساليب الكتابة والتعبير التجريبية . أما الفصل الثامن والعشرون ، فيتناول كيفية الجمع بين الأساليب الفلسفية التي تنتقد علاقات القوة السائدة في المجتمع والأوساط الأكاديمية ، وبين ضرورة تطوير أساليب بحثية لمعالجة المشاكل الاجتماعية الملحة بطرق حساسة . هنا ، يناقش بول روبنز ما يسميه "مفارقة ما بعد الاستعمار" ، أي أن أي مشروع بحثي في سياقات غير غربية قد يُنظر إليه بطريقة ما على أنه استعماري ، على الرغم من أن الباحث قد لا يرغب في ذلك . يستند روبنز في هذا إلى بحثه الخاص حول جهود الحفاظ على البيئة في غرب أفريقيا والهند ، ليناقدش جهوده في معالجة آثار الاستعمار من خلال نوع مختلف من البحث البيئي المقترح من منظور ما بعد الاستعمار .

بينما ترتبط بعض الأساليب المذكورة في هذا الجزء بمنهج معينة أو تنبع منها ، فإنه من المهم الإدراك أنها ليست حصرية بهذه المناهج . فعلى سبيل المثال ، يستخدمها بعض علماء الجغرافيا المتبنين للمنهج التجريبي ، وكذلك بعض الباحثين في مجال الجغرافيا النسوية ؛ وبالمثل ، قد يعتمد الباحثون ذوو النزعة الإنسانية أو البنائية على أساليب تحليل النصوص ، وإن اختلفت طرق تطبيقها . وعلاوة على ذلك ، وكما أوضح فوترنجم في فصله حول العلاقة بين الفلسفات التجريبية والأساليب الكمية ، غالباً ما ينشأ تناقض بين النقاء الفلسفي والضرورة العملية ، نظراً للقيود العملية اليومية (سياق السياسات ، والوقت ، والموارد ، والتمويل ، إلخ) التي يعمل الباحثون (وطلاب الدراسات العليا) في ظلها .

وأخيراً ، من المهم الإشارة إلى أن الباحثين لا يقتصرون على استخدام أسلوب واحد ، بل قد يجمعون بين أساليب عدة في تصميم أبحاثهم . على سبيل المثال ، قد يقومون بإجراء استبيان واسع النطاق وتحليله إحصائياً ، إلى جانب إجراء مقابلات معمقة مع بعض المختصين ، أو تحليل النصوص والصور ذات الصلة.